

نصوص مختارة (18)

ما هكذا
يُدْرَسُ علم التفسير!

• قال الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي في حفل ختم رفيق دربه الإمام عبد الحميد ابن باديس -رحمهما الله- تف سيره لكتاب الله سنة (١٩٣٨م):

"هذا هو اليوم الذي يختم فيه إمام سلفي تفسير كتاب الله تفسيرًا سلفيًا ليرجع الم سلمون إلى فهمه فهمًا سلفيًا، في وقتٍ طغت فيه المادة على الروح ولعب فيه الهوى بالفكر، وهفت فيه العاطفة بالعقل، ودخلت فيه على الم سلم دخائل الزيغ في عقائده وأخلاقه وأفكاره، وفي أمة تقطعت صلاتها بالسلف و ضعف تقديرها للقرآن، فأصبح ملهاة آذان ومشغلة لسان، وأصبح حفاظها يقرأونه للتبرك أو يتجرون به في المقابر، وعوامه ينزلونه منزلة البصل والكراث في ستة شفون بحروفه من أمراض سببتها الحرارة أو جلبتها البرودة، وعلماءؤها يدرسونه بلغة الم صطلحات العرفية، ويتناولونه بأذهان - شيت بالأفكار الطائفية، والتعصبات المذهبية، والمحاميل الجدلية، والتوجيهات اللفظية، وبكتب مُدلت بالاسرائليات المصنوعة والآثار الموضوعية والنظريات؛ والطلبة - وهم صرعى هذه الفتن - يتلقونه بالأسنة جافت البيان العربي و صرفتها العجمة

في منهاج غير منهاج العرب، فف سد الذوق واختلّ الت صور - وبأفكاره
غطى عليها الجمود و سدّ عليها منافذ التفكير - وبنفوس ركبها الملل
وال سأم، فر ضيت ب سماع ما لا يفهم وتلقي ما لا يعقل، وهان الزمان في
حسابها فأ صبحت تنفق منه جزافاً، واختلّ تقدير الأشياء عندها فأ صبح
كل مقروء علماً وكل قارئ عالماً.

وأ شهد؛ لقد كنتُ ضيفاً بتونس منذ سبع عشرة سنة، فقبل لي عن
عالم من مشايخ جامع الزيتونة ومن أبعدهم صيتاً في عالم التدريس: "إنه
يُقرئ التفسير"؛ فشهدتُ يوماً درسه لأكون فكرة عن دراسة التفسير في
ذلك المعهد الجليل؛ وكنتُ معنياً بهذا البحث وجد ستُ إليه أكثر من
نصف ساعة، فوالذي نفسي بيده ما سمعتُ منه كلمةً واحدةً من الآية
التي موضوع الدرس ولا لمحتُ أمانة ولا إشارة تدلُّ على أن الدرس في
التفسير؛ وما كان كل الذي سمعتُ إلا حكاية لجدل عنيف وتمثيلاً
لمعركة لفظية مستعرة بين السيد الجرجاني وعبد الحكيم حول عبارة
لعلها لمفسر من المفسرين الا صطلاحيين، ثم انقضت الحصة وقام
الطلبة الم ساكين يتعثرون، تبدو عليهم سيماء التعب والملل والخيبة،
*وقمتُ أنا مستيقيناً أن هذه الطريقة في التفسير هي أكبر الحجب التي

حجبتُ الم سلمين عن فهم كتاب الله ثم زهدتهم فيه و صدتهم عن
موارده* "اهـ.

[مجلة «الشهاب» | (الجزء الرابع، المجلد الرابع عشر، جوان-جويلية
١٩٣٨، ص ٢٧٧).]